الكلمة القرآنية وأثرها في السياق القرآني سورة (القصص) أنموذجاً -دراسة تفسيرية-

The Qur'anic word and its impact in the Qur'anic context, Surah (Al-Qasas), as an example - an interpretive study-

الباحثة: وصال هشام عبد المجيد

Researcher: Wissal Hisham Abd Al Majeed

E-mail: wsal.hsham.iq@gmail.com

أ.م.د. صديق بكر محمود

Asst.Prof.Dr. Sadiq Bakr Mahmoud

جامعة سامراء/ كلية العلوم الإسلامية

Samarra University / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الكلمة في القرآن، سياق الآيات، القصص، التفسير.

Keywords: The word in the Qur'an، The context of the verses،Stories، Interpretation

الملخص

تُعدُّ دراسة الكلمة القرآنية من الأمور المهمة لطالب العلم بعامة–وعلم التفسير بخاصة–؛ إذ العلم بها من الطرق المُوصِلة إلى فهم كتاب الله بشكلٍ صحيحٍ، وكل كلمة في القرآن الكريم جاءت في غاية الفصاحة والبلاغة والبيان، ولا يمكن لكلمة مرادفة لها أن تحل محلها من الآية؛ لأن ذلك سيؤدي لاختلال المعنى، كما أن كل كلمة تأتي مناسبها لمقامها من الآيات، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، والباحثة في هذه الدراسة تبين الكلمة القرآنية وأثرها في السياق القرآني من خلال دراسة سورة القصص، دراسة تفسيرية بيانية.

Abstract

Studying the Quranic word is one of the important matters for the student of knowledge - and the science of interpretation in particular -; Knowing it is one of the ways that leads to a correct understanding of the Book of God, and every word in the Holy Qur'an is extremely eloquent, eloquent, and clear, and no word synonymous with it can replace it in the verse. Because this will lead to a disruption of the meaning, and every word comes appropriate to its place in the verses, and this is one of the miracles of the Holy Qur'an, and the researcher in this study shows the Quranic word and its effect in the Quranic context through studying Surat Al-Qasas, an explanatory and explanatory study.

المقدمة:

الحمدُ للهِ الذي أنزل على عبده الكتاب بلسانٍ عربيّ مبينٍ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين.

إن من أعظم ما اختص الله به هذه الأمة أن أنزل عليها كتابه القرآن العظيم، فكان معجزًا لا تنقضـــي عجائبه، ولا تنتهي لطائفه، ومن مميزاته أنه جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، فهو معجز بتراكيبه، وألفاظه، وسـعة مفرداته، وأُسـلوبه البياني الفريد، فكل كلمة فيه بليغةٌ بحد ذاتها، لذلك اعتنى العلماء والمفسـرون بدراسـتها، وأخذوا يتعمقون في معانيها؛ ليُظهروا بيان القرآن وبلاغته؛ لما في ذلك من دورٍ مهم لفهم الآيات وتفسيرها، وكذلك تدبرها والعمل بما فيها.

أهمية الموضوع، وسبب اختياره:

تبرز أهمية هذه الدراسة لعدةِ أسبابٍ منها:

أولًا: أنها متعلقة بأعظم العلوم وأفضلها، وهو كتاب الله تعالى، فهي متصلة اتصالًا وثيقًا بتفسير الآيات وفهمها وتدبرها، فلا سـبيل إلى الوصـول إلى فهم الآيات إلا بمعرفة دلالات الألفاظ، والتعمق في البحث عن دقائق المعاني البيانية في القرآن الكريم، والتي تُعد سـرًا من أسـرار الإعجاز القرآني.

ثانيًا: أنها متعلقة أيضًا بالسياق القرآني، الذي له أثر في تفسير الآيات بشكلٍ صحيح وواضح، كما ستبين الباحثة ذلك في فصول الرسالة –إن شاء الله–.

ثالثًا: أهمية دراسة سورة القصص؛ وما تحمله من معانٍ عقائدية وتربوية وإرشادية، وما فيها من أساليبٍ بيانية، ووجوهٍ إعجازية كثيرة.

كما أن سـبب اختيار الباحثة لهذا الموضـوع هو الرغبة في البحث عن دقة الكلمة القرآنية واستعمالها في الآيات، ومناسبتها لسياقها، وبيان جمالية التعبير القرآني، وأسلوبه العذِب، وكذلك الرغبة في إثراء المعلومات حول هذا الموضوع، ونيل الشرف بخدمة كتاب الله تعالى، من خلال دراسته وتدبر مفرداته التي من خلالها يُفهم مراد الله تعالى في كتابه، والله الموفِق والمعين.

أهداف البحث:

أولًا: بيان معنى الكلمة القرآنية، وأثرها في سياق الآيات.

ثانيًا: إظهار الإعجاز القرآني من خلال معرفة دقة معانيه، وملائمتها مع ألفاظه، مما يبين تماسك النص القرآني، وشموليته وانسجامه مع بعضه.

ثالثًا: بيان ما تحويه سورة القصص من أساليب ومعانٍ تفسيرية بيانية.

رابعًا: بيان أنه لا يوجد في الكلمات القرآنية ترادف، فكل لفظٍ جاء لمعنى مناسـبًا لسـياق الآيات التي ورد فيها، مما يبين إعجاز القرآن الكريم في اللفظ والمعنى.

إشكالية البحث وفرضياته:

هل يمكن أن يكون للسياق أثر في فهم معاني الكلمات القرآنية وتفسير الآيات؟ هناك بعض الكلمات في القرآن الكريم يكون لها لفظ قريب من معناها، وظهر في زماننا هذا القول بأن القرآن يوجد فيه ترادف لغوي، ويحاول البحث أن يتصدى للرد على مثل هذا القول، ويبين أن للسياق أثر مهم في فهم معاني الكلمات القرآنية، والتمييز بين الكلمات المرادفة حسب سياقها من الآيات، وكذلك تبين الباحثة من خلال دراسة الكلمة القرآنية وأثرها في السياق القرآني، وتحديدًا في سورة القصص، أن بعض الألفاظ في القرآن الكريم تحمل عدة معانٍ، وكل معنى منها في أعلى درجةٍ من الفصاحة والبلاغة، وكل كلمة جاءت مناسبة لسياقها الذي وردت به، ولا يمكن أن تحل لفظة محل الأخرى، ويحاول البحث أن يبين ما المراد بالكلمة القرآنية، والسياق القرآني؟ وبيان إن كان في القرآن ترادف أم لا؟.

منهجية البحث:

طبيعة المادة العلمية للبحث اقتضت اتباع منهج التحليل الاسلوبي في تناول الكلمة القرآنية وأثرها في السياق القرآني، وذلك بسرد الروايات والأقوال ثم مناقشتها وبيان أولاها بالصواب.

كذلك تناولت بعض آيات سورة القصص وموازنتها مع غيرها من الآيات التي تشبه جزء منها، ثم بعد ذلك دراسة كل من الآيتين، مع التفسير والبيان، ومن خلال ذلك يتبين جوانب الاتفاق والاختلاف بين الآيتين، وخاصية كل منهما لسياقها الذي وردت فيه.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع لم تقف الباحثة على دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع من الجانب الذي كتبت به؛ إلا أنه يوجد هناك إشارات منها عند المفسرين والباحثين في إعجاز القرآن الكريم، ويوجد أيضًا دراسات تناولت بعض مباحث هذه الرسالة إلا أنها ذكرت أمثلتها من القرآن الكريم بشكل عام، في حين أن هذه الدراسة تناولت سورة القصص بشكل خاص، كذلك توجد دراسات مختصة في سورة القصص، إلا أنها لم تتناول الجانب الذي تناولته الباحثة في هذه الرسالة بشكل مستقل، وهناك أيضًا مصادر ومراجع قديمة وحديثة ذات صلة بالكلمة القرآنية والسياق وسورة القصص أفادت الباحثة منها، فضلًا عن وجود رسائل جامعية، وبحوث علمية حديثة تناولت موضوع الكلمة القرآنية والسياق القرآني، وتأثير ذلك على فهم النص القرآني، ومنها:

١. "أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام" رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، تناولت هذه الرسالة تأثير السياق في فهم المتشابه اللفظي في القصص القرآني، وتركز على دلالة السياق في توجيه المعنى.

٢. "دلالة السياق في النص القرآني" رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية في الدنمارك، تناولت دلالة السياق، وأهميته في الكشف عن الكثير من المعاني التي تختفي وراء النص، ولا يمكن معرفتها إلا بالوقوف عند سياقها.

٣. "بلاغة الفاصلة في سورة القصص دراسة تحليلية" رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تناولت بلاغة الفاصلة في سورة القصص، وركزت على الفروق البلاغية في السياق القرآني، وتأثيرها على فهم المعنى الإجمالي للسورة.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث بعد المقدمة من أربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول فيه بيان التشابه بالتقديم والتأخير في القرآن الكريم من خلال سورة القصص.

والمبحث الثاني تم التطرق فيه إلى بيان التشـــابه بالحذف والإثبات في القرآن الكريم من خلال سورة القصص.

أما المبحث الثالث تضـمن الحديث فيه عن التشـابه بالتفصـيل والإجمال في القرآن الكريم من خلال سورة القصص.

والمبحث الرابع جاء فيه التشابه بالفاصلة القرآنية في سورة القصص.

أما **الخاتمة** ففيها بيان لأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في دراستها.

المبحث الأول: التشابه بالتقديم والتأخير:

من أبرز خصائص الاستعمال القرآني هو التقديم والتأخير، فقد تقدم كلمة في آية وتؤخر في آية أخرى؛ لبيان معنىً خفيًا قد لا يُفهم دون أن يكون هناك تقديم وتأخير في الجملة، وهناك أسباب كثيرة داعية للتقديم والتأخير، وهذا من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

كما أن فن التقديم والتأخير فنٌ رفيعٌ، يعرفه أهل البصـر بالتعبير، ويعرفه الذين آتاهم الله حظًا من معرفة مواقع الكلام، وهو ليس ادعاء يدعى أو كلمة قد تقال، وفي القرآن الكريم بلغ هذا الفن الذروة في وضـع الكلمات موضـعها الذي تسـتحقه في التعبير، بحيث أن الكلمة تسـتقر في مكانها المناسـب، كما أن القرآن الكريم لم يكتفِ في وضـع اللفظة بمراعاة السـياق الذي وردت فيه فقط، بل أنه راعى جميع المواضـع التي وردت اللفظة فيها، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، فلذلك نرى التعبير متسقًا ومتناسقًا مع غيره من التعبيرات، حتى كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة، والقرآن الكريم دقيق جدًا في وضـع الألفاظ موضـعها، ورصـف بعضـها بجانب بعض، بدقة عجيبة، فلذلك نرى له خطوط عامة في جانب التقديم والتأخير، فقد تكون

هناك مواطن تقتضي أن تُقدم هذه اللفظة أو تلك؛ لمراعاة سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير، ليبدو على أكمل وجهٍ وأبهى صورةٍ.(السامرائي، ١٤٢٧هـ، ص٥٣).

من الأمثلة على ذلك: التقديم والتأخير في كلمة "رجل" في قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠ ﴾(القصص:٢٠)، وقوله تعالى:﴿ □ □ نى ني□ير □ □ ين □ □ ﴾(يس:٢٠)، حيث قُدمت الكلمة في سورة القصص وأُخرت في سورة يس، وفي كل موضع جاءت الكلمة مناسبة لسياقها الذي وردت فيه، والمعنى في سورة القصص أن الرجل ذهب إلى موسى –عليه السلام– من آخر مدينة فرعون(الطبري، ١٤٢٢هـ، ١٨/ ٢٠٠)، وتقديم "رجل" على قوله "أقصا المدينة" جاء على الأصل في تقديم الفاعل على الجار والمجرور (الكواز، ١٤٢٦هـ، ص٣٢٤)، والمراد "جاء مَن لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاورًا لمكانه فاعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدّم ما أصله التقديم وهو الفاعل" (الإسكافي، ١٤٢٢هـ، ١/ ١٠٨٤)، وهذا يدل على أن الرجل كان مسكنه في أقصى المدينة، بخلاف ما جاء في سورة يس من تقديم "أقصا المدينة" على "رجل" ليدل على أن الرجل جاء ساعيًا من أقصى المدينة، فمجيئه كان من أقصى المدينة. (السامرائي، ١٤٢٠هـ، ٣/١٠٨)، وجاء التركيب القرآني بتأخير الفاعل الذي هو "الرجل"، وتقديم المكان الذي جاء منه وهو "أقصا المدينة"؛ لأن بيان المكان أولى وأهم بالتقديم من بيان الفاعل الذي هو رجل، فهذا الفاعل لا تصبو النفس إلى معرفته، بمقدار ما تصبو إلى معرفة المكان الذي جاء منه، فتقديم بيان هذا المكان فيه من المسارعة إلى إزالة تهمة تواطؤ الجائي مع المرسلين، وكذلك المسارعة إلى توبيخ المكذبين؛ لأنهم كذبوا ما جاءتهم به الرسل، ومع ما عسى أن يكونوا أظهروه من البينات والحجج وصدق غيرهم ممن لم يُعاين ما عاينوا فجاء من أقصى المدينة يسعى، ينصحهم باتباع المرسلين وبين لهم أنهم لا يَسأَلُونَ على دعوتهم أجرًا، وليس هناك غضاضة في أن يعبد الذِي فَطَرَه، وإليه يُرجع الناس أجمعون.(الراجحي، ١٤٤٤هـ،٢/٨١)، لذلك فالتقديم والتأخير جاء بحسب السياق، وكل موضع بما يناسبه، ففي القصص جاء الرجل قاصدًا النصح لموسى وحده لما وجده، فناسب تقديم الرجل، وفي يس قصد من أقصا المدينة نصح قومه، فالتأخير هنا هو المناسب لموضوع الآية.(ابن جماعة، ١٤١٠هـ، ص٢٨٤، ٢٨٥).

المبحث الثاني: التشابه بالحذف والإثبات:

في هذا المبحث تبين الباحثة أن الذكر والحذف من أهم الأساليب التي استعملها القرآن الكريم، والمقصود به هنا أن تتشابه آيتان أو جزء منهما من القرآن الكريم، إحداهما تختلف عن

الأخرى بزيادة أو نقصان، وأحيانًا يكون الاختلاف بزيادة حركة أو حذفها، حسب موضع الآيات وسياقها، وفي هذا يتبين بعض من أسرار القرآن ومعانيه الإعجازية.

واهتم به العلماء وبينوه في كتب البلاغة والتفسير البياني؛ لما فيه من معانٍ لا تدرك إلا بالتبصر والتدبر، "والذين يتدبرون القرآن الكريم سيجدون من روعة النظم ما تزكو به نفوسهم، فقد يذكر القرآن الكريم حرفًا أو كلمة في آية ويحذف في أخرى، ولكل من الحذف والذكر موقعه وموضعه، فهو إذن مبحث دقيق عظيم لطيف، أما دقته فتدل دلالة قاطعة على إعجاز القرآن الكريم، وأما عظمته فتدل دلالة لا شك فيها أنه تنزيل من رب العالمين وهذا اللون لا نظير له في كلام البشر مهما ارتقت وعلت درجة بلاغتهم، فهو يرد لغايات بلاغية دقيقة عظيمة لطيفة تستدعيها مقامات الخطاب، وتفهم من جملة نظم القرآن الكريم لا من النظر في مقام واحد في سورة واحدة من سور الكتاب العزيز".(المعدّل، د. ت، ص١٠٥).

والباحثة هنا تبين مثال ذُكرت فيه كلمة من سورة القصص، وحذفت من آيةٍ أخرى: ذكر كلمة استوى في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ ﴾(القصص:١٤)، ولم تذكر في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾(يوسف: ٢٢) جاء بلفظ "استوى" في قصة موسى –عليه السلام–، ولم يأتِ به في قصة يوسف –عليه السلام– مع أن المعنى في جملته واحد، فاختص كل من الجملتين بلفظ، والاستواء أن يبلغ الرجل أربعين سنة(لاشين، ١٤٠٣هـ، ص١٦٤، ١٦٥)، وذكر الاستواء في سياق سورة القصص ولم يذكر في سورة يوسف؛ لأن هناك سببًا استدعى الذكر والحذف في الموضعين؛ فالأشد مختلف فيه، قيل هو من البلوغ إلى استكمال أربعين سنة، والظاهر في القرآن أن الأشد قد يقع على دون الأربعين لقوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾(الأحقاف:١٥)، فإذا كان الأشد هو الأربعين؛ لأدى ذلك إلى عطف الشيء على نفسه، ويكون الكلام أقوى لو قيل: حتى إذا بلغ أشده واستكمل، وتم بالزيادة، وإذا كان وقوع الأشد على ما ذُكر، ولا يكون إلا على حال من العمر يحسن في التدبير والضبط، والفهم للخطاب، والإحكام للأمور، وتحقيق مقادير الأمور، وهذا بِجَرْي العادة إنما ابتداؤه عند البلوغ أو قبل البلوغ، ثم يستحكم إلى الغاية التي إليها انتهاء تمام القوة واستحكام العقل، لذلك جاء في قصة موسى– عليه السلام–، أنه ابتدئ بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفاً من فرعون، كما قال تعالى: ﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١ ﴾(الشعراء: ٢١)، فالآية أفصحت أن ذلك كان بعد رجوعه وإنكاح شعيب –عليه السلام– إياه ابنته، وبعد الأحداث الكثيرة التي حصلت له، إلى أن وصل إلى استكمال الأشد وهو الاستواء،

فقال في قصته: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي وانتهى إلى أحسن الحالات في السن، فناسب ذكر الاستواء مع سياق آية القصص.(الغرناطي، د.ت، ٢٦٧/٢)، أما في سورة يوسف فقد أخبر الله أنه أوحى إلى يوسف -عليه السلام- عندما طرحه إخوته في الجب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ ﴾(يوسف:١٥)، وهذا كان في سن مبكرة، فيتبين أن يوسف-عليه السلام- آتاه الله الحكم والعلم قبل أن يصل إلى سن الأربعين الذي هو وقت الاستواء، لذلك جاء التعبير في سورة يوسف خاليًا من كلمة "استوى" فناسب كل من الذكر والحذف سياقه الذي ورد فيه.(لاشين، ١٤٠٣هـ، ص١٦٥).

"وجائز أن تكون الزيادة لا من قبيل السن، ولكن من قبيل ما في الجسم وبنية الشخص، والمعنى أن الله أعطى ليوسف-عليه السلام- الحكم والعلم حين بلوغه الأشُدَّ، وأعطاهما موسى- عليه السلام- حين بلوغ الأشد والاستواء، فكان موسى حين هذا الإيتاء يزيد الاستواء على يوسف، فكان أقوى جسمًا وأصلب عودًا".(الراجحي، ١٤٤٤هـ، ٧٩/٢).

المبحث الثالث: التشابه بالتفصيل والإجمال.

اسلوب التشابه بالتفصيل والإجمال من أبرز الأساليب التي استعملها القرآن الكريم، والمقصود به أن "في القرآن الكريم آيات وتعبيرات تتشابه مع تعبيرات أخرى ولا تختلف عنها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة، أو في نحو ذلك، وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمرًا مقصودًا في كل جزئية من جزئياته، قائمًا على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز، وكلما تأملت في ذلك ازددت عجبًا، وانكشف لك سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم".(السامرائي، ١٤٢٧هـ، ص١٧٣).

وبينت الباحثة في هذا المبحث أمثلة من التشابه بالتفصيل والإجمال في سورة القصص، مع ما يشبه جزء منها من الآيات في السور الأخرى، وتذكر الباحثة هنا مثال من أمثلة التشابه بالتفصيل والإجمال في سورة طه والقصص: قال تعالى في سورة طه:﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾(طه:٣٩)، وقال في سورة القصص:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾(القصص:٧).

طه:٣٩	القصص:٧
إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ	وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ
أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ	فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ

القصـــة في الآيتين واحدة، ولكن التعبير القرآني في كل منهما مختلف، حســب ســياق السـور الذي وردت به، ولا شـك أن هناك فَرْق بين السـياقين، فسـياق سـورة القصـص يدل على مرحلة الإعداد والتهيئة للأم لحين الحادثة، و الملاحظ في هذه الآيات أن آية القصـــص لم تذكر عن مسـألة التابوت شـيء: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ هكذا مباشـرة؛ قيل لأن الله سـبحانه وتعالى تكلم عن الغاية التي تخيف، وهي الرَّمي في اليم، وهذا طبيعي في حنان الأم أنْ تحتال لولدها وتعمل على نجاته، فتصنع له تابوت، وتُعِدّه إعدادًا مناسبًا للطَفو على سطح الماء، ولذلك فَرق بين الخطاب للإعداد قبل الحادثة وبعدها، وقد طمئنها الله سبحانه على ولدها:﴿ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾، وســوف نُنجيه؛ لأن له مهمة عندي،﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ لذلك نجد السـياق في سـياق القصـص هادئاً ورتيباً يناسـب مرحلة الإعداد. (الشعراوي،١٤١٨هـ، ٩٢٦٧/١٥).

أما سـياق سـورة طه فقد جاء السـياق سـريعاً يناسـب سـرعة التنفيذ الذي أمر الله به أم موسـى، فكأن الله سـبحانه أوحى إليها أن أسـرعي إلى الأمر الذي سـبق أن أوحيتُه إليكِ، وهذا الكلام جاء في الحبكة الأخيرة لهذه المسـألة، ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ أي: أن تحمله الأمواج وتسـير به، وكأن لديها أوامر أن تُدخِله في المجرى الذي يوصـله إلى قصـر فرعون.(الشـعراوي، ١٤١٨هـ، ٩٢٦٧/١٥، ٩٢٦٨).

ومن جهة أخرى اســتعمل التعبير القرآني في هاتين الآيتين كلمتي (الإلقاء والقذف)، والفرق بين اللفظين أن القذف هو "الرّمي البعيد".(الراغب الأصـــفهاني، ١٤١٢هـ، ص٦٦١)، والإلقاء هو ما فيه لُطف وتمهُّل (الشعراوي، ١٤١٨هـ، ٩٣٦٠/١٥)، واستعمل كل لفظٍ منهما بما يناســب ســياق الآيات، وكان هذا التخالف بين اللفظين من التفنن الذي بُني على أحســن المناسـبات، ورعاية المقتضـيات، فالإلقاء والقذف وإن كانا في نهاية المعنى شـيئًا واحدًا، إلا أن المعنى الأول –الإلقاء– فيه من الوضـــع والحط، والمعنى الثاني –القذف– فيه معنى الرمي والطرح والنبذ، ويتبين أن المعنى الأول فيه من العناية والإحكام واللطف ما ليس في الثاني؛ لذلك وقع الأول جوابًا لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ ﴾، لأن الذي يُخاف عليه، ويُشـفق يوضـع

بإحكام ولا يرى به، وعندما لم يذكر الخوف في الموضـــع الثاني لم يكن هناك بأس من التعبير بالقذف.(الراجحي، ١٤٤٤هـ، ٧٢/٢).

ومن جهة أخرى ذكر الخوف عليه في سـورة القصـص من إدراك فرعون له، وكان هذا الخوف مدعاة تعجل في رميه في اليم من دون عناية وإحكام؛ أُشـير إلى وجوب تحاشـى ذلك، بوقوع الجواب من مادة الإلقاء، دون كلمة القذف، ولمّا لم يذكر الخوف عليه في سـورة طه، وقع التعبير بالقذف، لا سـيما وقد كان بجوار القذف ما هو أدخل في باب نجاته، وإحكام وضـعه، والذي هو التابوت حيث قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ ﴾، لذلك عبّر بكل موضع بما يناسبه.(الراجحي، ١٤٤٤هـ، ٧٣/٢).

ومن جانب آخر ذُكِر الخوف مُعلقًا عليه في سـورة القصـص، ولم يُذكر في سـورة طه؛ وذلك لأن آية القصص قصد فيها قصدًا أوليًا إلى تفاصيل هذه المعاني، بخلاف آية طه فإن هذه المعاني ذُكرت فيها على سبيل الاعتراض بها؛ تذكيرًا لموسى–عليه السلام– بنعمة قديمة أنعمها عليه، حين سأل ربه: ﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ ﴾(طه: ٣٠، ٣١، ٣٢)، فأجابه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ ﴾(طه: ٣٦، ٣٧)،وهذا من بديع البيان القرآني.(الراجحي، ١٤٤٤هـ، ٧٣/٢).

المبحث الرابع: التشابه بالفاصلة القرآنية:

من الخصـائص المهمة التي تميزت في القرآن الكريم، وأخذت حظًا واسـعًا من البحث والدراسة واهتمام الدارسين في القرآن وعلومه، هي الفاصلة القرآنية.

الفاصلة في اللغة: "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه، يقال: فصـلت الشـيء فصـلًا، والفيصـل: الحاكم"(ابن فارس، ١٣٩٩هـ،٥٠٥/٤)، والفصـل هو الحاجز بين الشـيئين، والفاصـلة هي الخرزة التي تفصـل بين الخرزتين في النظام، وأواخر الآيات في القرآن تسمى فواصل، وهي بمنزلة قوافي الشعر، والواحدة فاصلة.(الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ص١٠٤٢).

واصـطلاحًا هي: "حروفٌ متشـاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني".(الباقلاني، ١٤١٨هـ، ص٢٧٠).

وعرفهـا الزركشـي بقولـه: "هي كلمـة آخر الآيـة كقـافيـة الشـعر وقرينـة السجع".(الزركشي،١٣٧٦هـ، ٥٣/١).

فالفاصلة في القرآن هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، والفاصلة تقع عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسـين الكلام بها، وهذه هي الطريقة التي يباين القرآن بها سـائر الكلام، كما أنها

تسـمى بالفواصـل؛ وذلك لأن الكلام ينفصـل عندها، أي أن آخر الآية فصـل بينها وبين ما جاء بعدها، كما أن الفاصـلة القرآنية تقوم بدور الإحكام، فتربط بالمعنى الكلي الذي يسـبقها في الآية، وذلك إضـافة إلى ترنيمها الموسـيقي الواضـح، فهذا الإحكام قد يتسـم بوظيفتين، في الشـكل وفي المضمون.(ياسوف،١٤١٩هـ، ص٣٠٩).

والباحثة توضـح في هذا المبحث خاصـية الفاصـلة القرآنية ومناسـبتها لمعاني الآيات، وكذلك مناسـبة موضـعها من السـياق، من خلال الأمثلة، ومن هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾.(القصص:٧١، ٧٢).

ختم الله تعالى الآية الأولى بقوله: "تسـمعون"، بينما ختم الآية الثانية بقوله: "تبصـرون"، وكلٌ من الفاصـلتين جاءت مناسـبة للآية التي ذكرت فيها، فقوله "تسـمعون" جاء مناسـبًا للمدرك ليلاً من ضـربي ما يعتبر به من المبصـرات والمسـموعات، إذ أن الليل حائل دون المبصـرات، وتدرك المسـموعات في الليل؛ لأن ظلمته لا تمنع من إدراكها، فجيء باللفظ الذي يناسـب معنى الآية، وجاء مع ذكر النهار بما يناسب المعنى أيضًا، فقال :"تبصرون"؛ لأن المبصرات قد تدرك نهارًا ولا تدرك ليلاً، فجاء مع كل آية بما يناسب معناها.(الغرناطي، د.ت، ٣٨٦/٢).

لما كان الله سبحانه وتعالى هو الجاعل للأشياء على الحقيقة، وأضـاف إلى نفسـه جعل الليل سـرمدًا إلى يوم القيامة، صـار الليل كأنه سـرمد على هذا التقدير، والسـرمد معناه: "الدائم" (الراغب الأصـــفهاني، ١٤١٢هـ، ص٤٠٨)، أي أنه ليل دائم لا ينقطع، وظرف الليل هو ظرف مظلم، ولا يمكن أن ينفذ فيه البصـــر، لاســيما عندما أضـــاف الإتيان بالضـــياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فأصبح النهار كأنه معدوم؛ لأنه نسب وجوده إلى غير موجد، والليل كأنه لا موجود سواه إذ جعله سرمدًا منسوبًا إليه سبحانه، فلذلك اقتضت البلاغة أن يقول "أفلا تسمعون" لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار.(الزركشي، ١٣٧٦هـ،٨٢/١).

وكذلك الحال بالنسبة للآية التي تليها، إذ أنه لما أضـاف جعل النهار سرمدًا إليه، صـار النهار كأنه سرمد، وهو ظرف مضيء تنور فيه الأبصار، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصـــار الليل كأنه معدوم؛ لأنه نســـب وجوده إلى غير موجد، والنهار كأنه لا موجود سواه إذ أنه جعل وجوده سرمدًا منسوبًا إليه، فلذلك اقتضت البلاغة أن يقول "أفلا

تبصرون"؛ لأن الظرف مضيء صالح للإبصار وهذا من دقيق المناسبة المعنوية. (الزركشي، ١٣٧٦هـ، ٨٢/١).

الخاتمة:

تبين الباحثة أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. تُعد دراسة الكلمة القرآنية والتعمق في معانيها، وتدبرها والإلمام بها، من أهم الأمور التي تعين الطالب أو الباحث على فهم آيات القرآن الكريم، وهي سبب أيضًا لزيادة الإيمان في القلوب، فمن يتمعن ويتدبر الآيات يؤمن إيمانًا قاطعًا بأن هذا ليس من كلام البشر، بل هو من عند الله العزيز الحكيم.

٢. إن من الأسباب التي تؤثر على معنى الكلمة القرآنية في القصص القرآني هي: السياق القرآني، مناسبة السورة أو الآيات لما قبلها وما بعدها، وبلاغة القرآن ودقته في اختيار الكلمات المناسبة والتنوع فيها، وكذلك تسليط الضوء على زوايا مختلفة لنفس القصة وذلك بحسب سياق السورة أو الآيات.

٣. أهمية السياق القرآني في تفسير الآيات تفسيرًا صحيحًا، وأثره في فهم الكلمات القرآنية، وما تحمل من معانٍ عظيمة.

٤. إن وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة، ومن أهمها وأعظمها هو إعجازه البياني، وهو الذي تحدى الله به البشر، وأعجزهم أن يأتوا بسورة من مثلهِ، فعجزوا وهم أهل البلاغة والفصاحة والبيان.

٥. إن من أهم ما يتميز به القرآن الكريم هو الدقة في التعبير، والتركيب، وكذلك دقته في اختيار الألفاظ والمفردات، فقد يستعمل القرآن كلمة في موضع ثم يذكرها في موضعٍ آخر، إلا أنها تأتي منسجمة ومتناسقة مع كل موضع، بما يتوافق مع النص القرآني والمناسبة التي ورد بها.

٦. إن القرآن الكريم لا يوجد فيه ترادف لغوي، فكل لفظة جاءت مناسبها لسياق الآية التي وردت فيها، ولا يمكن لأي لفظة أخرى غيرها أن تَحِل محلها، وهذا من إعجاز القرآن الكريم الذي حيّر الألباب.

ختامًا أحمد الله على التمام، وما كان في هذا البحث من الصـــواب فهو من الله تعالى، وما كان فيه من خطأ فهو من نفسي والشيطان، أعاذني الله من شرهما.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن جماعة، محمد بن إبراهيم. (١٤١٠هـ). كشف المعاني في المتشابه من المثاني. (ط/١). دار الوفاء. المنصورة.
ابن فارس، أحمد بن فارس. (١٣٩٩هـ). معجم مقاييس اللغة. (د.ط). دار الفكر.
الإسكافي، محمد بن عبد الله. (١٤٢٢هـ). درة التنزيل وغرة التأويل. (ط/١). الناشر جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
الباقلاني، محمد بن الطيب. (١٤١٨هـ). إعجاز القرآن. (ط/٥). دار المعارف. مصر.
الراجحي، عبد الغني عوض. (١٤٤٤هـ). دراسات متشابه النظم في قصص القرآن الكريم "مقارنة وتحليل". (ط/١). دار الحكماء.
الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. (ط/١). دار القلم. الدار الشامية. دمشق بيروت.
الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر. (١٣٧٦هـ). البرهان في علوم القرآن. (ط/ ١). الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
السامرائي، فاضل بن صالح. (١٤٢٠هـ). معاني النحو. (ط/١). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الأردن.
السامرائي، فاضل بن صالح. (١٤٢٧هـ). التعبير القرآني. (ط/٤). دار عمار. عمان.
الشعراوي، محمد متولي. (د.ت) تفسير الشعراوي- الخواطر. مطابع أخبار اليوم.
الطبري، محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (ط/١). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. القاهرة- مصر.
الغرناطي، أحمد بن إبراهيم. (د.ت). ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. (د.ط). دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (١٤٢٦هـ). القاموس المحيط. (ط/٨). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت – لبنان.
الكواز، محمد كريم. (١٤٢٦ هـ). الاسلوب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. (ط/١). مكتب الإعلام والبحوث والنشر بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
لاشين، عبد الفتاح بن أحمد. (١٤٠٣هـ). من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة. (د/ط). دار المريخ للنشر. الرياض.
المعدّل، موسى بن الحسين. (د.ت). الإعتماد في الحروف المشكلة في القرآن الكريم. (د.ط). دار الكتب العلمية. بيروت_ لبنان.
ياسوف، أحمد. (١٤١٩هـ). جماليات المفردة القرآنية. (ط/٢). دار المكتبي. دمشق.

Sources and references
The Holy Quran

1. Ibn Jama'ah، Muhammad bin Ibrahim. (1410 AH). Kashf al-Ma'ani fi al-Mathabib Min al-Mathani. (1st edition). Dar al- Wafa'، Mansoura.
2. Ibn Faris، Ahmed bin Faris. (1399 AH). Dictionary of Language Standards. (ed.). Dar Al-Fikr.
3. Al-Iskafi، Muhammad bin Abdullah. (1422 AH). Durrat al-Tanzeel wa Gharrat al-Tawil. (1st edition). Publisher. Umm al-Qura University – Mecca.
4. Al-Baqalani، Muhammad bin Al-Tayeb. (1418 AH). The Miracle of the Qur'an. (5th edition). Dar Al-Maaref – Egypt.
5. Al-Rajhi، Abdul-Ghani Awad. (1444 AH). Studies of similar systems in the stories of the Holy Qur'an. "Comparison and Analysis". (1st edition) . Dar Al-Hikma.
6. Al-Ragheb Al-Isfahani، Al-Hussein bin Muhammad. (1412 AH). Al-Mufradat fi Ghareeb Al-Qur'an. (1st edition). Dar Al-Qalam. Al-Dar Al-Shamiya – Damascus. Beirut.
7. Al-Zarkashi، Muhammad bin Abdullah bin Bahadur. (1376 AH). Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an. (1st edition). Publisher. Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyah Issa al-Babi al-Halabi and his partners.
.8. Al-Samarrai، Fadel bin Saleh. (1420 AH). Meanings of Grammar. (1st edition). Dar Al-Fikr for Printing. Publishing and Distribution . Jordan.
9. Al-Samarrai، Fadel bin Saleh. (1427 AH). Quranic Expression. (4th edition). Dar Ammar . Amman.
10. Al-Shaarawi، Muhammad Metwally. (D. T.) Tafsir Al-Shaarawi. Thoughts. Akhbar Al-Youm Press.
11. Al-Tabari، Muhammad bin Jarir. (1422 AH). Jami' al-Bayan on the Interpretation of the Verses of the Qur'an. (1st edition). Dar Hijr for Printing. Publishing، Distribution and Advertising. Cairo. Egypt.
12. Al-Gharnati، Ahmed bin Ibrahim. (D.D.). The Angel of Interpretation that Conclusively Defends Those Who Are Atheists and the Obstruction in Directing Similar Words from the Verse of the Download. (D.D.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah، Beirut . Lebanon.
13. Al-Fayrouzabadi، Muhammad bin Yaqoub. (1426 AH). Al-Qamoos Al-Muhit. (8th edition). Al-Resala Foundation for Printing. Publishing and Distribution. Beirut. Lebanon.
14. Al-Kawaz، Muhammad Karim. (1426 AH). The Style in the Rhetorical Miracle of

the Holy Qur'an. (1st edition). Information. Research and Publishing Office of the International Islamic Call Society.

15. Lashin، Abdel Fattah bin Ahmed. (1403 AH). One of the Secrets of Expression in the Qur'an is the Purity of the Word. (Dr.). Al-Marikh Publishing House. Riyadh.
16. Al-Mu'addal، Musa bin Al-Hussein. (D.T.). Reliance in the Formed Letters in the Holy Qur'an. (D.T.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. Beirut. Lebanon .
17. Yasuf، Ahmed. (1419 AH). Aesthetics of the Qur'anic Singularity. (2nd ed.). Dar Al-Maktabi – Damascus.